بسم الله الرحمن الرحيم

التَّحْذِيرُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالْبَغْتَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ١٣ صفر ١٤٤٤هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْغَفْلَةَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ الْفَتَّاكَةِ، لَهَا أَضْرَارُهَا الْكَثِيرَةُ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الْغَفْلَةُ تُوقِعُ فِي الْهَلَاكِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾. فَأَسْبَابُ هَلَاكِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا سَبَبَانِ: تَكْذِيبُهُمْ بِآيَاتِ اللهِ، وَتَغَافُلُهُمْ عَنْهَا.

الثَّانِي: مَنْ أُصِيبَ بِالْغَفْلَةِ الْكَامِلَةِ خُتِمَ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَكَانَ أَضَلَّ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْأَنْعَامِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

الثَّالِثُ: الْغَفْلَةُ قَرِينَةُ التَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

الرَّابِعُ: الْغَفْلَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِلِقَاءِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَرْجُونَ فِي لِقَاءِ اللهِ شَيْئًا، وَرَضُوا بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهَا أَنْفُسُهُمْ. قَالَ الْحَسَنُ: وَاللهِ مَا زَيَّنُوهَا وَلَا رَفَعُوهَا حَتَّىٰ رَضُوا بِهَا، وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ آيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ فَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَالشَّرْعِيَّةِ فَلَا يَأْتَمِرُونَ بِهَا، بِأَنَّ مَأْوَاهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمُ النَّارُ، جَزَاءً عَلَىٰ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الْآثَامِ وَالْخَطَايَا وَالْإِجْرَامِ، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الْخَامِسُ: الْحَذَرُ مِنَ الْغَفْلَةِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ وَقَعُوا فِيهَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

السَّادِسُ: الْغَفْلَةُ تُغْلِقُ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَبْوَابَ الْخَيْرِ، وَتَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ الشَّرِّ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

السَّابِعُ: مَنْ غَفَلَ عَنِ اللهِ أَغْفَلَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ؛ فَيَصِيرُ أَمْرُهُ ضَائِعًا. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

الثَّامِنُ: أَهْلُ الْغَفْلَةِ لَهُمُ الْحَسْرَةُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

وَالْغَفْلَةُ: مُتَابَعَةُ النَّفْسِ عَلَىٰ مَا تَشْتَهِيهِ، وَقِيلَ: إِبْطَالُ الْوَقْتِ بِالْبَطَالَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْغَفْلَةُ لَهَا عَلَامَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَأَعْرَاضٌ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: التَّكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَاتِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ».

الثَّانِي: اسْتِصْغَارُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَالتَّهَاوُنُ بِهَا. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتْحِ»: قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ: إِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ صِفَةَ الْمُؤْمِنِ؛ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ وَمِنْ عُقُوبَتِهِ؛ لِأَنَّهُ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنَ الذَّنْبِ، وَلَيْسَ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنَ الْمَغْفِرَةِ، وَالْفَاجِرُ قَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ؛ فَلِذَلِكَ قَلَّ خَوْفُهُ، وَاسْتَهَانَ بِالْمَعْصِيَةِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ قَلْبَ الْفَاجِرِ مُظْلِمٌ، فَوُقُوعُ الذَّنْبِ خَفِيفٌ عِنْدَهُ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ مَنْ يَقَعُ فِي الْمَعْصِيَةِ إِذَا وُعِظَ يَقُولُ: هَذَا سَهْلٌ، قَالَ: وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ: أَنَّ قِلَّةَ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ ذُنُوبَهُ وَخِفَّتَهَا عَلَيْهِ يَدُلُّ عَلَىٰ فُجُورِهِ.

الثَّالِثُ: إِلْفُ الْمَعْصِيَةِ وَمَحَبَّتُهَا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ، عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا

أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». قَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِنْهَاجِ»: قَالَ الْقَاضِي: شَبَّهَ عَرْضَ الْفِتَنِ عَلَىٰ الْقُلُوبِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَىٰ بِعَرْضِ قُضْبَانِ الْحَصِيرِ عَلَىٰ صَانِعِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.

«**أُشْرِبَهَا**». أَيْ: دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولًا تَامًّا، وَأُلْزِمَهَا، وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلَّ الشَّرَابِ، وَمِنْهُ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾. أَيْ: حُبَّهُ، وَثَوْبٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ أَيْ: خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً لَا انْفِكَاكَ لَهَا.

«**مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا**» أَيْ: مَائِلًا، شَبَّهَ الْقَلْبَ الَّذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوزِ الْمُجَوَّفِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ الْمَاءُ فِيهِ.

الرَّابِعُ: تَضْيِيعُ الْأَوْقَاتِ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ. وَالْوَقْتُ نِعْمَةٌ، وَلَا يُضَيِّعُهُ إِلَّا غَافِلٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ».

عِبَادَ اللهِ: لِلْغَفْلَةِ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ، مِنْ أَبْرَزِهَا:

الْأَوَّلُ: الْجَهْلُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَبِأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَبِدِينِهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

الثَّانِي: الْمَعَاصِي مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْغَفْلَةِ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمَدَارِجِ»: وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ آثَارًا مَحْبُوبَةً لَذِيذَةً طَيِّبَةً، لَذَّتُهَا فَوْقَ لَذَّةِ الْمَعْصِيَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، لَا نِسْبَةَ لَهَا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لِلسَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي آلَامًا وَآثَارًا مَكْرُوهَةً، وَحَزَازَاتٍ تُرْبِي عَلَىٰ لَذَّةِ تَنَاوُلِهَا بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَزِيَادَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ، وَوَهَنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَهَذَا يَعْرِفُهُ صَاحِبُ الْبَصِيرَةِ، وَيَشْهَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ.

الثَّالِثُ: صُحْبَةُ الْغَافِلِينَ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾.

الرَّابِعُ: تَرْكُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ أَوِ التَّهَاوُنُ بِهَا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَىٰ أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ

لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَىٰ أَعْوَادِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ».

الْخَامِسُ: طُولُ الْأَمَلِ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِدَاءِ الْغَفْلَةِ أَدْوِيَةً، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الْعِلْمُ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الثَّانِي: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

الثَّالِثُ: أَعْظَمُ عِلَاجٍ لِلْغَفْلَةِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»: فَتَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ كَلَامَهُ حَيَاةً لِلْقُلُوبِ، وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ. وَبِالْجُمْلَةِ: فَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ... وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالشَّوْقَ، وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ، وَالْإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ، وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيضَ، وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ، وَسَائِرَ الْأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي بِهَا فَسَادُ الْقَلْبِ وَهَلَاكُهُ. فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ لَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، فَإِذَا قَرَأَهُ بِتَفَكُّرٍ حَتَّىٰ مَرَّ بِآيَةٍ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاءِ قَلْبِهِ كَرَّرَهَا وَلَوْ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَلَوْ لَيْلَةً؛ فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفَهُّمٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ خَتْمَةٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ، وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَدْعَىٰ إِلَىٰ حُصُولِ الْإِيمَانِ، وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ. وَهَذِهِ كَانَتْ عَادَةَ السَّلَفِ، يُرَدِّدُ أَحَدُهُمُ الْآيَةَ إِلَىٰ الصَّبَاحِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ الصَّبَاحِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّفَكُّرِ هِيَ أَصْلُ صَلَاحِ الْقَلْبِ.

الرَّابِعُ: الْحِرْصُ عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَلَوْ بِعَشْرِ آيَاتٍ. أَخْرَجَ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ».